لو اختصرتم من الإحسان زرتكمو   والعذب يهجر للإفراط في الخصر [(١)]

فلفظ «اختصر» الوارد في حشو المصراع الأول هو فعل ماض بمعنى قلَّل، ولفظ «الخصر» بفتحتين في آخر البيت هو اسم بمعنى البرودة، فاللفظان متجانسان لفظًا مختلفان معنى، ويجمعهما شبه الاشتقاق.

٣ - ومنه ما يكون اللفظان الملحقان بالمتجانسين يجمعهما شبه الاشتقاق وأحدهما في آخر البيت والثاني في آخر المصراع الأول، كقول الحريري أيضًا:

ومضطلع بتلخيص المعاني   ومطلع إلى تخليص عاني [(٢)]

فاللفظ الأول «المعاني» من عني يعني، والثاني «عاني» اسم فاعل من عنا يعنو، فالجامع بينهما شبه الاشتقاق.

٤ - ومنه ما يكون اللفظان الملحقان بالمتجانسين يجمعهما شبه الاشتقاق وأحدهما في آخر البيت والآخر في صدر المصراع الثاني، كقول الشاعر:

لعمري لقد كان الثريا مكانه   ثراء فأضحى الآن مثواه في الثرى

فاللفظ الأول «ثراء» واوي من الثروة وفعله «ثرا» يقال: ثرا المال يثرو: كثر، واللفظ الثاني في آخر البيت «الثرى» بمعنى التراب يأتي، فعله «ثري» بكسر الراء، فاللفظان متجانسان لفظًا مختلفان معنى، ولكن يجمعهما شبه الاشتقاق.

لزوم ما لا يلزم

هذا النوع من البديع اللفظي سماه قوم «الالتزام» و«لزوم ما لا يلزم»، وقد عده ابن المعتز من محاسن الكلام ومثل له، وعرفه بأنه «إعنات الشاعر في القوافي تكلفه من ذلك ما ليس له».

ومن امثلته عنده قول الشاعر:

يقولون في البستان للعين لذة   وفي الخمر والماء الذي غير آسن
فإن شئت أن تلقى المحاسن كلها   ففي وجه من تهوى جميع المحاسن

وقد عرف القزويني لزوم ما لا يلزم بقوله: «هو أن يجيء قبل حرف الروي أو ما في معناه

---

(١) العذب هنا: يعنى العذب من الماء. والخصر بفتحتين: البرودة. والمعنى: أن بعدى عنكم إنما هو لكثرة ما أنعمتم على وطوقتموني من الإحسان.

(٢) المضطلع في الشيء: القوى فيه الناهض به؛ وتخليص العاني: فكاك الأسير.

من الفاصلة ما ليس بلازم في السجع»، ومعنى هذا أن يلتزم الناثر في نثره أو الناظم في نظمه بحرف قبل حرف الروي أو بأكثر من حرف بالنسبة إلى قدرته مع عدم التكلف.

ولزوم ما لا يلزم من فنون البديع اللفظي الذي يرد في النثر والنظم على السواء، وقد ورد في القرآن الكريم شيء منه إلا أنه يسير جدًّا.

فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ﴾ [العلق: ١-٢] وقوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ۝١٥ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ﴾ [التكوير: ١٥-١٦] وقوله تعالى: ﴿وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ﴾ [الطور: ١-٢] وقوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ۝٢٩ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾ [الطور: ٢٩-٣٠] وكالفاصلتين الأخيرتين من قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ۝١٦ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ۝١٧ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ۝١٨ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ [الانشقاق: ١٦-١٨]، وعلى هذا النحو قوله تعالى: ﴿قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ۝٢٧ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ﴾ [ق: ٢٧-٢٨].

ومن أمثلته نثرًا قول ابن الأثير في مستهل كتاب إلى بعض الإخوان: «**الخادم يهدي من دعائه وثنائه ما يسلك أحدهما سماء والآخر أرضًا، ويصون أحدهما نفسًا والآخر عرضًا**» فاللزوم هنا في الراء والضاد.

ومنه قول الحريري في المقامة الوبرية: «**حكي الحارث بن همام، قال: ملت في ريق زماني الذي غبر، إلى مجاورة أهل الوبر، لآخذ أخذ نفوسهم الأبية، وألسنتهم العربية، فأوطنوني أمنع جناب، وفلّوا عني حد كل ناب..**» (١).

ومنه قول بديع الزمان الهمذاني في مقامته الجاحظية التي ينقد فيها كلام الجاحظ على لسان عيسى بن هشام: «**فهلموا كلامه إلى كلامه فهو بعيد الإشارات، قليل الاستعارات قريب العبارات، منقاد لعريان الكلام يستعمله، نفور من معتاصه يهمله، فهل سمعتم له لفظة مصنوعة أو كلمة مسموعة؟**» (٢) فمن كلام الحريري وبديع الزمان ما التزم فيه بحرف أو أكثر قبل حرف الروي.

---

(١) مقامات الحريري ص ١٩٦، وريق زماني: أوله، وغبر: مضى وتقدم، وأهل الوبر: هم أهل البدو، لآخذ آخذ نفوسهم: لاقتدي بهم، وأوطنوني: أنزلوني وأحلوني، وفلوا: كسروا.

(٢) مقامات بديع الزمان ص ٧٥، وعريان الكلام: ما لا يكسوه ثوب الصنعة، ومعتاص الكلام: ممتنعه مما تكثر فيه الصنعة فتبعده عن أذهان العامة.

ومن أمثلة لزوم ما لا يلزم في الشعر قول شاعر جاهلي:

عصاني قومي والرشاد الذي به ... أمرت ومن يعص المجرب يندم
فصبرًا بني بكر على الموت إنني ... أرى عارضًا بالموت والدم

فاللزوم هنا في الميم والدال.

ومنه قول أبي تمام:

خدم العلا فخدمته وهي التي ... لا تخدم إلا قوام ما لم تخدم
فإذا ارتقى في قلة من سؤدد ... قلت له الأخرى: بلغت تقدم

وقوله أيضًا:

ولو جربتني لوجدت خرقًا ... يصافي الأكرمين ولا يصادي (١)
جديرًا أن يكر الطرف شزرًا ... إلى بعض الموارد وهو صادي

فاللزوم في المثال الأول لأبي تمام في الميم والدال، وفي المثال الثاني في الدال والألف والصاد.

ومن الشعر العذب الذي لا كلفة عليه في باب اللزوم قول الحماسي:

إن التي زعمت فؤادك ملها ... خلقت هواك كما خلقت هوى لها
بيضاء باكرها النعيم فصاغها ... بلباقة فأدقها... وأجلها
حجبت تحتها فقلت لصاحبي ... ما كان أكثرها لنا وأقلها!!
وإذا وجدت لها وساوس سلوة ... شفع الضمير إلى الفؤاد فسلها

فاللزوم في الهاء واللام.

ومن الشعراء المتقدمين الذين مالوا إلى اللزوم في شعرهم كثير عزة، ومن شعره الذي التزم فيه مالا يلزم قصيدة تربو على عشرين بيتًا منها:

خليلي هذا ربع عزة فاعقلا ... قلوصكيما ثم احللا حيث حلت
وما كنت أدري قبل عزة ما الهوى ... ولا موجعات الحزن حتى تولت
هنيئًا مريئًا غير داء مخامر ... لعزة من أعراضنا ما استحلت
فما أنا بالداعي لعزة بالجوى ... ولا شامت إن نعل عزة زلت

---

(١) الخرق بكسر الخاء: الكريم المتخرق في الكرم المغالى فيه، ولا يصادى: أي ولا يداجى ولا يدارى.

وإني وتهيامي بعزة بعدما ... تخليت مما بيننا... وتخلت
لكالمرتجي ظل الغمامة كلما ... تبوأ منها للمقيل اضمحلت
كأني وإياها سحابة ممحل ... رجاها فلما جاوزته استهلت
فإن سأل الواشون: فيم هجرتها؟ ... فقل: نفس حر سُلّيت فتسلت (١)

وممن مالوا إلى اللزوم من المتقدمين أيضًا عبد الله بن الزبير الأسدي، وذلك كقوله من قصيدة في مدح عمرو بن عثمان بن عفان:

سأشكر عمرًا ما تراخت منيتي ... أيادي لم تمنن وإن هي جلت (٢)
فتي غير محجوب الغني عن صديقه ... ولا مظهر الشكوى إذا النعل زلت (٣)
رأي خَلّتي من حيث يخفى مكانها ... فكانت قذى عينيه حتى تجلت (٤)

فاللزوم في شعر كثير عزة وابن الزبير الأسدي وهو في التاء واللام المشددة.

والتزام ما لا يلزم لدي المتقدمين كما يبدو من شعرهم يأتي عفو الخاطر غير مقصود ولا متعمد، ولذلك لا يرى عليه من أثر الكلفة أو الصنعة شيء.

أما المتأخرون فتوسعوا فيه وأكثروا منه، ومنهم من تعمده وقصد إليه قصدًا، كأنما يريد أن يدل بذلك على مقدرته في النظم وسعة إحاطته باللغة ومفرداتها.

ومن أولئك الشعراء أبو العلاء المعري فله في هذا النوع من الشعر ديوان كامل «اللزوميات» أتى فيه بالجيد الذي يحمد، والرديء الذي يذم.

ومن شعره الذي التزم في قافيته ما لا يلتزم قوله:

أرى الدنيا وما وصفت ببر ... إذا أغنت فقيرًا أرهقته
إذا خشيت لشر عجلته ... وإن رُجيت لخير عوقته
حياة كالحبالة ذات مكر ... ونفس المرء صيدًا أعلقته
فلا يخدع بحيلتها أريب ... وإن هي سورته ونطقته
أذاقته شهيا من جناها ... وصدت فاه عما ذوقته

فاللزوم هنا في الهاء والتاء والقاف.

---

(١) أمالي القالي ج ٢ ص ١٠٧ .
(٢) لم تمنن: أي لم تقطع ولم تخلط بمنة .
(٣) إذا النعل زلت: زلة القدم والنعل كناية عن نزول الشر والمحنة .
(٤) خلتي: الخلة بفتح الخاء: الخصاصة والفقر .

ومنه أيضا قوله:

تنازع في الدنيا سواك وماله ... ولا لك شيء بالحقيقة فيها
ولكنها ملك لرب مقدر ... يعير جنوب الأرض مرتد فيها
ولم تحظ من ذاك النزاع بطائل ... من الأمر إلا أن تعد سفيها
فيا نفس لا تعظم عليك خطوبها ... فمتفقوها مثل مختلفيها
تداعوا إلى النزر القليل فجالدوا ... عليه وخلوها لمفترفيها
وما أمُّ صِلٍ أو حليلة ضيغم ... بأظلم من دنياك فاعترفيها [١]
تلاقي الوفود القادميها بفرحة ... وتبكي على آثار منصرفيها
فأطبق فمًا عنها وكفًا ومقلة ... وقل لغوي القوم: فاك لفيها [٢]

فاللزوم هنا في الهاء والياء والفاء، وقد التزم مع حرف الروي بحرفين.

ويجدر التنبيه هنا إلى الفرق بين لزوم ما يلزم ولزوم ما لا يلزم في القوافي. فمن باب لزوم ما يلزم قول الشاعر:

في شعاب النسيان أفردت وحدي ... فعبرت الأيام حيًا كميت
أجد الغدر والعقوق من النا ... س وألقى الظلام في عقر بيتي
والعذاب الروحي في ليلي الدا ... ئم أورى دمي وأنضب زيتي
فتعالي... وفي يديك انطلاق ... من فجاج النسيان أما أتيت

فحرف القافية هنا التاء والياء قبلها حرف ردف يلتزم به الشاعر في جميع أبيات القصيدة والعدول عنه إلى حرف آخر كأن يقول مثلًا «حضرت» بدل «أتيت» يعد عيبًا في القافية.

أما في لزوم ما لا يلزم، كما هو الشأن في قوافي الأبيات السابقة لكثير عزة، وابن الزبير الأسدي والمعري، فاللازم هو حرف القافية فقط، أما ما عداه مما ألزم الشاعر به نفسه حرفًا كان أو أكثر فهذا يجوز للشاعر أن يلتزم أو يعدل عنه، ولا يعد في الوقت ذاته عيبًا من عيوب القافية.

---

(١) **فاعترفيها**: أي فاسأليها أيتها النفس، وربما وضعوا اعترف بمعنى عرف، وعلى هذا يكون المعنى فاعترفيها: أي اعرفي حقيقة دنياك يا نفس.

(٢) **فاك لفيها**: كلمة تستعملها العرب عند الدعاء بالمكروه والشماتة، وأصل ذاك أن السباع إذا تهارشت صرفت أفواهها بعضها لبعض.

فلو التزم الشاعر حرف الراء مثلاً قبل القافية في قصيدة بعض كلمات قافيتها مثل «شرق وفرق وبرق» فإنه يجوز له أن يبقى على هذا الالتزام، كما يجوز له أن يعدل عنه ويقول: «شرق، وسبق، وخلق» دون أن يعد ذلك عيبًا في القافية.

لزوم ما لا يلزم هو - كما يقول ابن الأثير - من أشق هذه الصناعة مذهبًا وأبعدها مسلكا، وذلك لأن مؤلفه يلتزم ما لا يلزمه. فإن اللازم في هذا الموضوع وما جرى مجراه إنما هو السجع الذي هو تساوي أجزاء الفواصل من الكلام المنثور في قوافيها. وهذا فيه زيادة على ذلك وهو أن تكون الحروف التي قبل الفاصلة حرفًا واحدًا، وهو في الشعر أن تتساوى الحروف التي قبل روى الأبيات الشعرية (١).

ومما لا ريب فيه أن هذا النوع من أصعب أنواع البديع اللفظي استخراجًا، ولكن مما لا ريب فيه أيضًا أنه يعد من محاسن الكلام، إذا وفق فيه الأديب فجاءه عفو الخاطر بدون تكلف ولا تعمل، وكان المعنى هو الذي يقود إليه ويستدعيه، وليس هو الذي يقود إلى المعنى.

* * *

(١) المثل السائر ص ١٠٦ .